

Abstract

At the end of the research , which facilitated the completion of God had to be a reference to what is listed as the most important of the results , and observations it contained and it produced , which can be formulated as follows:

١- All of the decision of the people of the language in the statement of the meaning of representation does not exceed the sense of being back , and unnecessary thing , and the popularity of it , do not go out in the eyes of the people of terminology for the origin of language.

٢- research that he has to be the slave if he wants to reach the degree of substitution of the Lord in prayer to achieve two things: first : to go out slave in his heart , and his mind , and his faculties in his prayers to Barih , and second to ensure that does not turn in his prayers , and pay attention is the heart and the body , and pay attention to pay attention is the origin of cardiac physical , the heart of Annapolis Onapt his faculties.

٣- The search that quickly in the output of Zakat , when there are conditions considered legally - and not procrastinate , and to find justification for delay in performance - is in fact expresses the sincerity of representation , and the seriousness of the demand of the slave to his Lord ; with a good soul and feeling happy with this output, and not remain self Michovh director for that money.

٤- proved Find that fasting with representation on the contrary, the rest of the corners , those corners of which is due where a person and delegate to the creator and loyalty , while fasting it that achieves such representation ; If a person needs to deputizing for the lead that worships the fasting is the source of your slave Barih to mine gems and Anapth to his creator.

٥- research that it was keen to perform Hajj on his face , - and a passion for it until the patient on the parting of the old house ; repetitive him to come to Mecca supervisor repeatedly - it Almgnen , but the only pretext or two , or Umrah or Umrahs , filled pilgrimage for work that was not caused by the same lower recidivism and return , he is a pilgrim , not Bmnep ; Valmnep in the Hajj pilgrimage is one of the many , and begrudged his arrival at the house of the Lord Almighty.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٨٣ ﴾

مقدمة

الحمد لله من اعتصم بحبله وفقه وهداه، ومن اعتمد عليه حفظه ووقاه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجه وهداه.

أما بعد: فإن الإجابة من الوظائف الدينية المهمة، وهي من الأعمال القلبية التي يتوثق فيها اتصال العبد بربه من غير واسطة، وهي من أهم ما يتقرب فيها العباد من خالقهم، ويرتقون فيها إلى أسمى درجات السالكين، وأعلى منازل العارفين .

ولأهمية هذه الوظيفة القلبية العظيمة كان السبب الذي حدانا إلى اختيار مثل هذا الموضوع؛ إضافة الوقوف على حقيقة هذا المقام وعلاقته بالعبادات التي هي أركان الإسلام العملية وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج إضافة إلى الآيات التي هي مصدر الإجابة من خلال معرفة معانيها والوقوف على مراميها .

وجاء هذا البحث مقسما الى خمسة مطالب: المطلب الأول: معنى الإجابة لغة واصطلاحاً، وتناول فيه التعريف بالإجابة من حيث المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي؛ مع بيان الفرق بين الإجابة والتوبة، أما المطلب الثاني: الإجابة في الصلاة، والذي وقفنا فيه على تحديد مواطن الإجابة في الصلاة من حيث الإسراع إلى أداءها في أوقاتها، وإبراء ذمته منها، والإقبال على الله تعالى في الصلاة والإعراض عما سواه، أما المطلب الثالث: فتكلمنا فيه عن الإجابة في الزكاة من خلال المسارعة إلى إخراج العبد زكاة ماله، وترك المماطلة في أدائها، وإقباله على ربه بأداء زكاة أمواله طيبة بها نفسه، وتضمن المطلب الرابع: الكلام عن الإجابة في الصيام بسرعة الامتثال إلى صيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً، والإقبال على الله تعالى في إتمام الصيام على وجهه، والخوف من النقص فيه، ثم المطلب الخامس: فهو في الإجابة في الحج، والإسراع إلى تلبية نداء الباري سبحانه إلى فريضة الحج متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، والتزلف إلى الله تعالى بأداء فريضة الحج بتطهير العبد نفسه من الرفت والفسوق، ثم الخاتمة وأهم النتائج .

المطلب الأول: معنى الإنابة لغة واصطلاحاً .**أولاً: معنى الإنابة في اللغة:**

إن جميع ما قرره أهل اللغة في بيان معنى الإنابة لا يتعدى كونها بمعنى الرجوع، ولزوم الشيء، والإقبال عليه، وذلك أن الإنابة كما بينها أصحاب اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي (نوب)، و"النون والواو والباء كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه . وناب ينوب، وانتاب ينتاب. ويقال إن النوب: النحل، قالوا: وسميت به لرعيها ونوبها إلى مكانها. وقد قيل إنه جمع نائب^(١)، و"ناب فلانٌ" ، إذا لزم الطاعة^(٢)، و"ناب فلانٌ إلى الله تعالى وأناب إليه إنابةً فهو مُنِيبٌ أُقْبِلَ وتابَ ورجعَ إلى الطاعة وقيل نابَ لزمَ الطاعة وأنابَ تابَ ورجعَ"^(٣) .

ثانياً: معنى الإنابة في الاصطلاح:

عرف أرباب السلوك الإنابة بتعاريف كثيرة لا تخرج عن أصلها اللغوي وهو الرجوع والعكوف ولزوم المكان، إلا أن هذه التعريفات تباينت في تحديد ماهية هذا الرجوع، مع أن جميع ما عينوه يصح أن يكون من الإنابة إذا ما جعلت أفراداً لها وجزءاً من معناها . فقالوا في تعريفها وجوهاً:

- ١- إنها "الرجوع من مخالفة الأمر إلى موافقته، فلا يجدرك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك"^(٤)
- ٢- وقال الجرجاني: الإنابة: الرجوع من الكل إلى من له الكل.

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٣٦٧/٥ .

(٢) تهذيب اللغة، لابي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت - ط١، ٢٠٠١م: ٣٥١/١٥ .

(٣) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، ط١: ٧٧٤/١ .

(٤) لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام لعبد الرزاق الكاشانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٩٦ هـ: ٢٤٨/١ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٨٥ ﴾

- ٣- وقال ايضاً: الإجابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأُنس^(١) .
- ٤- وقال الهروي: هي: الرجوع إلى الحق إصلاحاً، كما رجع إليه اعتذاراً، والرجوع إليه وفاءً، كما رجع إليه عهداً، والرجوع إليه حالاً، كما رجع إليه إجابة^(٢) .
- ٥- وقال ابن القيم: "هي عكوف القلب على الله ﷻ كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله"^(٣) .

وقد بين ربنا سبحانه في كتابه ان العبد المنيب هو البصير في اموره كلها المنتفع بكل تذكرة كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾^(٤)

"فقد العبد بكونه منيباً وجعل خلق السموات والارض تبصرة لعباده المخلصين وقال: ﴿ رَزَقًا

لِلْعِبَادِ ﴾^(٥) مطلقاً؛ لأن الرزق حصل لكل أحد غير أن المنيب يأكل ذاكراً شاكراً للإنعام وغيره

يأكل كما تأكل الأنعام فلم يخص الرزق بقيد"^(٦) .

ثالثاً: الفرق بين التوبة والإجابة .

قد يختلط معنى التوبة بمعنى الإجابة عند الكثيرين إلا أن هناك فرقا بينهما، وهذا التفريق

بينه غير واحد من أهل العلم كل حسب اجتهاده وما أداه إليه نظره فمن هذه الفروق:

(١) ينظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، ١٤٠٥: ص: ٥٥ .

(٢) منازل السائرين، : لعبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨: ص: ١٧ .

(٣) الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م: ص: ١٩٦ .

(٤) سورة ق: الآية ٨ .

(٥) سورة ق: الآية ١١ .

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣٦/٢٨ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٨٦ ﴾

١- قال ابو هلال العسكري: إن "التوبة هي الندم على فعل ما سيق، والإجابة: ترك المعاصي في المستقبل" (١) .

٢- وقال القشيري: "الفرق بين الإجابة، وبين التوبة أن التائب يرجع من خوف العقوبة، وصاحب الإجابة يرجع استحياء لكرمه" (٢) .

٣- وقيل: إن من خاف العقاب هو صاحب توبة، ولمن يتوب بطمع الثواب هو صاحب إجابة .

٤- وقيل: التوبة صفة عامة المؤمنين. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

(٣)، والإجابة صفة الأولياء والمقربين. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (٤) .

وقد تأتي كلمة التوبة بمعنى الإجابة إذا عدت بالى كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا

أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) (٦) .

(١) معجم الفروق اللغوية، لابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ: ص: ١٠٣ .

(٢) لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣: ٢٨٨/٣ .

(٣) سورة النور: آية ٣١ .

(٤) سورة ق: آية ٣ { .

(٥) سورة النور: آية ٣١ .

(٦) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤: ١٢٧٠/٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

المطلب الثاني: الإجابة في الصلاة:**أولاً: معنى الإجابة في الصلاة .**

لما كانت لفظة الصلاة تتضمن معنى الصلوة، وقيل: "سميت الصلاة صلاة لأنها صلة بين العبد وبين الله ﷻ ومواصلة من الله تعالى لعبده"^(١) وهي اتصاله بحبل خالقه فان معنى إجابة العبد في صلاته يمكن إرجاعها إلى أمرين من حيث حال العبد مع الصلاة فعلا وتركها:

١- أما في حالة ترك العبد للصلاة فان التارك للصلاة المضيع لها هو بمثابة العبد الشارد عن ربه والآبق عن مولاه^(٢)، ورجوعه إلى الصلاة وتوبته إلى ربه من كبيرة ترك الصلاة؛ هذا الرجوع وتلك التوبة تتحقق فيها إجابة العبد ورجوعه إلى حضيرة الإيمان، فالراجع إلى صلاته بعد تركها هو في حقيقته منيبا إلى الله تعالى بعد ما كان طريدا هاربا من رحمة الرحمن الرحيم . ولتأكيد هذه الصلة بين العبد وبين خالقه سبحانه، ولتجنب قطع حبال الوصال جاء الأمر بإجابة العبد إلى الصلاة، وجعلها فريضة في حقه، وأمانة في عنقه؛ لذا تنوعت النصوص لتأدية هذا الغرض العظيم، ولتفعيل معنى الإجابة بفعالها، وإقامتها، فمن هذه النصوص .

أ- إن الصلاة هي عهد الإيمان، وميثاق الصلوة، وفيصل التمييز بين المسلمين والكافرين فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله (ﷺ): ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي ، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: (١٦٨ / ٢) .

(٢) ومن دلالات عد التارك للصلاة بمثابة العبد الآبق من سيده هو ما رواه مسلم عن جرير ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ): (أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة) . صحيح مسلم: كتاب الايمان، باب تسمية العبد الآبق كافرا، رقم: ١٢٣ (١ / ٨٣)، وهذا المعنى الذي أفاده الحديث .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٨٨ ﴾

تركها فقد كفر^(١) .

ب- الصلاة من أهم الأمانات التي كلف الإنسان بحملها، ومن تهاون في أدائها فقد برئت منه الذمة، ولزمه من إضاعتها المذمة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ((أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت . ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ...))^(٢) .

ج- الصلاة من أوثق عقد الدين، وأحكم عرى الإيمان، وتاركها قد أفلت من يده حبل الله تعالى المتين، وهوى على أم رأسه في غياهب التائهين . عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لتتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة))^(٣) .

د- ومن عظم قدر الصلاة وأهمية الرجوع إليها إنها أول حق لله تعالى على عبده سيحاسبه عليها يوم القيامة، وهي ميزان لكل ما سواها من العبادات، وعليها تتوقف أعمال العباد قبولا ورضا . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة يحاسب بصلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر))^(٤) .

(١) رواه الترمذي في سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون رقم: ٢٦٢١، ١٣/٥، والنسائي في سنن النسائي، لعبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة ببيروت، ط ٥، ١٤٢٠ هـ: رقم: ٤٦٣، ٢٥٠/١، وابن ماجه في سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: رقم: ١٠٧٩، ١/٣٤٢ .

(٢) رواه ابن ماجه: رقم: ٤٠٣٤، ١٣٣٩/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند احمد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م: رقم: ٢٢١٦٠، ٤٨٥/٣٦ .

(٤) المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩: رقم: ٣٦٠٤٧، ٢٧٦/٧ .

ثانيا: الإجابة في الإقبال على الله تعالى في الصلاة والإعراض عما سواه .

لابد للعبد إذا أراد الوصول إلى درجة الإجابة لربه في صلاته من تحقيق أمرين لا غنى له عنهما إن أراد أن تؤتي صلاته أكلها، والارتقاء في منازل السالكين. وهذان الأمران هما :

١- الإقبال على ربه بكلية، وأن ينصرف العبد بقلبه، وعقله، وجوارحه في صلاته إلى بارئه؛ ومن أجل ذلك شرع القيام في الصلاة، واستقبال القبلة بجميع الأعضاء، ومن أجل الوصول إلى درجة الإجابة بهذا الانصراف القلبي، والشخص البدني؛ كان لابد من أن تكون الصلاة هي هم العبد الوحيد، فإذا دخل في صلاته عليه ألا يهتم إلا بأدائها على وجهها حريصا على أن لا يفكر فيها بشيء من هموم الدنيا، ومشكلاتها، ومن أكبر ما يعين المرء لتحقيق هذه الوظيفة هي استشعاره في صلاته انه يناجي ربه بما يتلو من آيات، وما يتلفظ به من أذكار، وبذلك يقول الإمام البخاري: باب المصلي يناجي ربه ﷺ، ثم يروي بإسناده عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه فلا يتقلن عن يمينه ولكن تحت قدمه اليسرى)^(١) .

وكان مقصود النبي ﷺ أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وأنه يناجيه ويسمع كلامه ويجيبه على مناجاته له. كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ((أن العبد إذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي))^(٢) الحديث.

فمن استشعر هذا في صلاته أوجب له ذلك حضور القلب بين يدي مولاه، وخشوعه له، وتأديه أمام حضرته، فلا يلتفت إلى غير خالقه بقلبه ولا ببدنه، قد سكنت جوارحه، ولا يعبث وهو واقف بين يديه، ولا يبصق أمامه، فيصير في عبادته في مقام الإحسان، يعبد الله كأنه يراه، كما فسر النبي ﷺ الإحسان بذلك في سؤال جبريل ﷺ له، وقد كان رسول الله ﷺ أوصى ابن عمر ﷺ

(١) رواه البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لابي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ: كتاب الصلاة، باب المصلي يناجي ربه ﷺ، رقم: ٥٣١: ١١٢/١.

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم: ٣٩٥، ٢٩٦/١ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٠ ﴾

بهذه الوصية: ((أعبد الله كأنك تراه))^(٣)، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يستحضر في جميع أعماله وعباداته قرب الله منه واطلاعه عليه، وكان عروة بن الزبير قد لقيه مرة في الطواف بالبيت فخطب إليه ابنته سودة، فسكت ابن عمر ولم يرد عليه شيئاً، ثم لقيه بعد ذلك بعدما تقدم المدينة، فاعتذر له عن سكوته عنه، بأنا كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا^(١).

إن لتحقيق الانابة في الصلاة، فان على الإنسان إذا كان في صلاته أن يجعلها أكبر همه، وأعظم شغله، وان يقبل عليها مفرغاً قلبه، وفكره من كل ما يشتته من امور دنياه؛ ليؤديها كاملة بفرائضها، وواجبتها، وسننها، فإنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها من معاني الفاتحة، وما يقرأ من القرآن، ومعاني الاذكار في الركوع، والسجود، والقيام بين يدي الله ﷻ، ومعاني العبودية، والمناجاة ومعاني التحيات، والتكبيرات.

فتجد الرجلين قد وقفا معا في الصف اما أحدهما: قد أشعر قلبه عظمة خالقه، وانه واقف بين بارئه، حتى امتلأ قلبه من هيئته وذلت له عنقه، فأورثه ذلك حياء من ربه أن ينشغل بغيره، أو يلتفت عنه الى سواه.

واما الآخر: فقد تاه قلبه في اودية الدنيا قد سرح عقله فيها ملتفتاً يميناً وشمالاً، ولا يعي ما يتكلم به؛ لأن قلبه غاب عن حضوره في صلاته، فبين صلاتيهما كما قال بعض أهل العلم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل بقلبه والآخر ساه غافل يفكر في البيوع والخصومات، والأمانى والخسارات قد ذهب قلبه كل مذهب في أودية الدنيا^(٢).

٢- وهو مكمل للأول لا يتحقق إلا به، ولا يقوم إلا عليه، وهو الحرص على ان لا يلتفت في صلاته الى غير مولاه، ومن أعظم ما يحمل العبد على عدم الالتفات في الصلاة هو استشعاره

(٣) رواه الامام أحمد، رقم: ٦١٥٦ ، ٢٩٧/١٠ .

(١) ينظر: فتح الباري، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ: ١١٠/٣ - ١١١ .

(٢) ينظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، لعبد العزيز بن مُحَمَّد السلمان المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض: ١٢٤/٢ - ١٢٥ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩١ ﴾

إقبال المولى عز وجل عليه، فإذا تخيل ذلك خضع قلبه وسكنت جوارحه، وقد وجه النبي (ﷺ) أمته إلى هذا المسلك العظيم فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): ((لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه))^(١).

يقول يوسف بن عاصم: "إذا قمت إليها فاعلم أن الله مقبل عليك، فأقبل على من هو مقبل عليك، واعلم أن جهة التصديق لقلبك، أنه قريب منك، قادر عليك، فإذا ركعت: فلا تؤمل أن تقوم. ومثل الجنة عن يمينك، والنار عن يسارك، والصراط تحت قدميك، فإذا فعلت فأنت مصل"^(٢).

ومن أجل تحقيق هذا المقصد العظيم جاء النهي عن الالتفات في الصلاة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله (ﷺ) عن الالتفات في الصلاة فقال: ((هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد))^(٣).

والالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى .

والثاني: التفات البصر وكلاهما منهي عنه .

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه، ومثل الذي يلتفت في صلاته مثل الرجل الذي قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه وأقبل يكلمه، ويحدثه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينا وشمالا مشغول الفكر والقلب عما يكلمه به السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضرا معه، فاقبل ما يقابله به السلطان هذا الرجل أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه^(٤).

(١) رواه أبو داود في سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر: (١ / ٣٠٢).

(٢) بحر الدموع، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ص: ٩٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الالتفات في الصلاة: رقم: ٧٥١، ١٥٠/١.

(٤) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م: ص: ٢٠-٢١.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٢ ﴾

وفي هذا المعنى يقول عن حسان بن عطية: "ان الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وإن بينهما من الفضل لكما بين السماء والأرض ثم فسر ذلك ان أحدهما يكون مقبلا على الله بقلبه والآخر ساه غافل" (١)

وعن شفي قال: "ان الرجلين ليكونان في الصلاة مناكبها جميعا ولما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وإنهما ليكونان في صيام واحد ولما بين صيامهما لكما بين السماء والأرض" (٢). وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه، وألزم لخشوع القلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، فإن الرعية بحكم الراعي، وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد

وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود، وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن إطلاعه على سره وضميره (٣).

(١) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت: ص: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت: ١/١٦٨ -

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٣ ﴾

المطلب الثالث: الإجابة في الزكاة .

أولاً: المسارعة إلى إخراج زكاة ماله، وترك المماطلة في أداءها .

إن المسارعة في إخراج الزكاة، عند توفر شروطها المعتبرة شرعاً - وعدم التسويف، وإيجاد مبررات المماطلة في أدائها- هو في حقيقته يعبر عن صدق الإجابة، وجدية الإقبال من العبد إلى ربه، والزكاة "قرينة الصلاة، وشقيقتها، وهو اقتران يدل على عظم أهميتها، والتنبه بذكرها، والحث على أدائها"^(١) .

وان المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الزكاة قد اقترنت بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً، وهو دليل على كمال الاتصال بينهما. كما ان الصلاة في كثير من الآيات تجيء مقرونة بالإيمان أولاً، وبالزكاة ثانياً، وقد يجيء اقتران الثلاثة معاً بالعمل الصالح، وهو ترتيب منطقي؛ وذلك لان الإيمان اصل، وهو عمل القلب، والعمل الصالح من حيث الجملة دليل على صدق الإيمان، وهو عمل الجوارح، وأول عمل يطالب به المؤمن الصلاة، وهي عبادة بدنية، ثم الزكاة، وهي عبادة مالية^(٢) .

وهذه الإجابة التي تكمن في المسارعة إلى إخراج الزكاة هي الصورة الوحيدة التي تحقق الغايات المنشودة، والفضائل المعهودة من هذا الركن العظيم " فالزكاة تطهر المزكي من أنجاس الذنوب، وتنقيه من أوساخها وتزكي أخلاقه بالتحلي بالجود والسخاء وتمرنه على السخاء الذي يحبه كل بر وفاجر وتبعده عن الشح الذي هو مذموم عند كل أحد وتطهر القلب عن حب الدنيا ببذل اليسير، فاليسير هو الواجب، وهو بذل القليل من الكثير"^(٣)، ولهذه الحكم وغيرها من الفوائد الجمة لأداء الزكاة، والفضائل الغزار في إخراجها كان سرعة الإقبال في أداءها، وإنابة الامتثال في إخراجها هو مذهب جمهور أهل العلم فإنهم قالوا: ان الزكاة واجبة على الفور، فلا يجوز

(١) فقه التاجر المسلم وآدابه، الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عفانه، المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر- بيت المقدس، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ص: ٨٣ .

(٢) ينظر: الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، الدكتور عبد الله الطيار، تقديم: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الزلفي، ١٤٠٥هـ: ص: ٢٢ .

(٣) موارد الظمان لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلطان، ط٣٠، ١٤٢٤هـ: ١ / ٢٦٩ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٤ ﴾

تأخيرها إذا توافرت فيها الشروط ، وتمكن من اخراجها وجب عليه اخراجها على الفور فان أخرها كان اثماً^(١).

أما أدلة الفورية والمصارعة في إخراج الزكاة فهي كثيرة منها .

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(١) .

فهذه الآية نص في زكاة الزروع، ويلحق بها غيرها، فأمر سبحانه وتعالى بإيتاء الزكاة، فمتى وجبت الزكاة في مال، فيجب إخراجها، واعطائها لمستحقيها، ولو جاز التأخير لجاز إلى غير غاية فتنتفي العقوبة على الترك؛ ولأن حاجة الفقراء والمساكين متاكدة، وناجزة، وحقهم في الزكاة واجب، وثابت؛ لذا فان تأخيرها منعاً لحقهم في وقته^(٢) .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ﴾^(٣) .

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٤) .

٤- عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صلى بنا النبي ﷺ العصر، فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج فقلت: أو قيل له فقال: ((كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيتة فقسمته))^(٥) .

وفي سبيل دفع العبد إلى سرعة الامتثال في إخراج زكاته، وتعجيل الإقبال على الله تعالى في أداء ما بذمته حذر المولى جل في علاه المماطلين وتوعد المسوفين، في غير آية من القرآن

(١) ينظر: المجموع شرح المذهب، محيي الدين بن شرف الدين النووي الدمشقي، دار عالم الكتاب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م: ٢٢٠/٥ .

(١) سورة الأنعام: آية ١٤١ .

(٢) موارد الظمان لدروس الزمان: ١/ ٢٦٩ .

(٣) سورة البقرة: آية ١٤٨ .

(٤) سورة آل عمران: آية ١٣٣، ١٣٤ .

(٥) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها: رقم: ١٤٣٠، ٢/ ١١٣ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٥ ﴾

الكريم، وزيادة على هذا التحذير الرباني جاء التحذير النبوي ليزيد التحذير تأكيدا، والتهديد للمماطلين تشديدا.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ

سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ

وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٢).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم

القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك

أنا كنزك ثم تلا ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ (الآية)) (٣).

٤- عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: جلست إلى ملا من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب

والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع

على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من غض كفته ويوضع على غض كفته حتى يخرج من

حلمة ثديه ينزل ثم ولى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له لا

أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت قال إنهم لا يعقلون شيئا (٤).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ : ((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي

منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى

بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٠ .

(٢) سورة التوبة: آية ٣٤، ٣٥ .

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٤٠٣، ١٠٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه: كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم: ١٤٠٧، ١٠٧/٢ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٦ ﴾

بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل؟ قال ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولادها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال ولا صاحب بقر ولا غنم يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولادها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار^(١).

ثانياً: تحقيق إجابة العبد إلى مولاه بأداء زكاة أمواله طيبة بها نفسه .

تقدم أن في سرعة امتثال العبد وإقباله على تأدية أمر خالقه في إخراج زكاة ماله تعبير حقيقي عن صدق الإجابة التي تؤتي الثمرات المرجوة من تشريع ركن الزكاة . غير أن ثمة أمر آخر يستلزمه الإسراع والمبادرة في تأدية الزكاة، وهو طيب النفس وانسراح الصدر بهذا الإخراج، وان لا تبقى النفس متشوفة لذلك المال المخرج، وغير منتبحة له بل يقطع وساوس الحسابات، ويحسم شوارد التفكير بالنقص الذي لحق بالمال جراء تأدية الزكاة، ولما كانت الأموال محبوبة عند الناس حباً جماً كانت الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله اختباراً حقيقياً للمؤمنين وتمحيصاً لهم وتخليصاً لهم من الأثرة والأنانية والتفكير في الذات فالإنسان عندما يزكي ماله بسخاء وصدق ينطلق في ذلك من حب الله أقوى من حبه للمال كما ينطلق في ذلك من تفكيره في الفقراء والمساكين وفي الضعفاء واليتامى وأبناء السبيل وكل ذلك يجعله يشعر بشعور غيره ويهتم بالمشاركة الوجدانية بعباد الله فخير الناس أنفعهم للناس^(٢) .

ولما كانت الزكاة عبادة متعلقة بالمال الذي تتعلق به النفوس تعلقاً يصعب معه ان تبدله الا بمجاهدة، ومشقة؛ لذا فان "من أداها طيبة بها نفسه دخل الجنة، فبالزكاة تعمر ديار الفقراء؛ فهي

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧، ٦٨٠/٢ .

(٢) الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة: ص: ٣ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (المعروف بالشيخ والمعروف) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٧ ﴾

سهم الإسلام، وفضل الرحمن، وبها نصل الضعفاء والأيتام، وقد خسر من لا نصيب له، ولا سهم، فهي نعمة انعم الله بها، وافلح من انتفع بالمال وأدى حقه، وأحسن إلى الفقراء والمساكين وأزال المهم، ووضرر أمراضهم وظلم جهالتهم" (١) .

ولأهمية موضوع طيب النفس في تحقيق الإنابة في هذا الركن فإنه وردت أحاديث نبوية خصته بالذكر للتنبية على مكانته، وعظيم شأنه، ومن هذه الآثار:

١- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه وأدى الأمانة " قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة؟ قال الغسل من الجنابة)) (٢) .

٢- عن عبد الله بن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان من عبد الله ﷻ وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنه ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم فإن الله ﷻ لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية النفس فقال أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان)) (٣) .

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً، وأدى زكاة ماله، طيباً بها نفسه محتسباً ، وسمع وأطاع، فله الجنة - أو دخل الجنة)) (٤) .

٤- عن أم سلمة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ بينما هو في بيتها، وعنده رجال من أصحابه يتحدثون إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله كم صدقة كذا وكذا من التمر؟ قال رسول الله ﷺ كذا وكذا من التمر فقال الرجل: إن فلانا تعدى علي فأخذ مني كذا وكذا فزاد صاعاً، فقال رسول الله ﷺ

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م: ٤٤٩/٢ .

(٢) رواه أبو داود، رقم: ٤٢٩، ١ / ١٧٠ .

(٣) المصدر نفسه، رقم: ١٥٨٢، ٤٩٦/١ ، والطبراني في المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، رقم: ٥٥٥، ١ / ٣٣٤ .

(٤) رواه الامام أحمد، رقم: ٨٧٣٧، ٣٥٠/١٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ٩٨ ﴾

: فكيف إذا سمي عليكم من يتعدى عليكم أشد من هذا التعدي، فخاض الناس، وبهر الحديث حتى قال رجل منهم : يا رسول الله إن كان رجلا غائبا عنك في إبله وماشيته وزرعه فأدى زكاة ماله فتعدى عليه الحق فكيف يصنع وهو غائب ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : من أدى زكاة ماله طيبة بها نفسه يريد به وجه الله والدار الآخرة لم يغيب شيئا من ماله وأقام الصلاة وأدى الزكاة فتعدى عليه الحق فأخذ سلاحه فقاتل فقتل فهو شهيد ((^(١)).

وفي مقابل هذا الترغيب - في إخراج زكاة المال، أو التصدق به - جاء الترهيب من الله تعالى في التحذير من الإغماض في أداء الزكاة، وتندد بأهل المن في الانفاق والصدقات .

كما قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) .

وختاما فما أحسن قول الشاعر وهو يحث على إخراج الزكاة ويحذر من تسوفيها؛ وهي كلمات فيها ترويح للنفس وتقوية للعزم على تحقيق العبد للإجابة والإقبال على الله تعالى في أداءه لزكاة ماله، فيقول الشاعر:

فبادروا بزكاة المال إن بها	*****	لنفس والمال تطهيراً وتحصيئاً
ألم تروا أن أهل المال في وجل	*****	يخشون مصرعهم إلا المزكينا
فهل تظنون أن الله أورثكم	*****	مالاً لتشفوا به جمعاً وتخزيناً
أو تقصروه على مرضاة أنفسكم	*****	وتحرموا منه معترراً ومسكيناً
ما أنتم غير أقوام سيسألكم	*****	إلهمك عن حساب المستحقينا
أنتم خلائفه في الأرض ألزمكم	*****	أن تعمروها وتفنوا الأفانينا
ولتألو نصيباً من خلافته	*****	إلا بأن تتفقوا مما

(١) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠، رقم: ١٤٧٠، ١ / ٥٦٢، و في بعضها بيان أن الحديث ببعض القيود ، مثل أن يذكره بالله ثلاثاً ، لعله يرعوي ، فإن لم يرتدع ، استعان بمن حوله من المسلمين ، فإن لم يكن حوله أحد ، استعان عليه بالسلطان إن أمكن ، فإذا تعاطى المظلوم هذه الأسباب ونحوها فلم يندفع الظلم ، قاتله ، فإن قتله فهو في النار ، وإن قتل فهو شهيد . السلسلة الصحيحة: ٦ / ١٥٤ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٤ .

تحيوناً^(١)**المطلب الرابع: الإجابة في الصوم**

أولاً: أهم ثمرات الإجابة التي يحققها الصيام:

١- الصيام ينبوع الإجابة ومعين الرجوع والتوبة .

لما كانت حقيقة العبادة هي حمل النفس على فعل المأمورات وترك المحضورات، وهي أمور تنقل على النفس لان فيها المخالفة لهواها، والكبح لجماعها، لذا فإنها تحتاج إلى ما يروضها، ليخفف عنها ثقل العبادة وعبئ الالتزام، وأعظم ما تروض فيه النفوس هو الصيام فهو "من أشرف العبادات وله فضيلة ينفرد بها عن جميع التعبدات وهي إضافته إلى الله ﷻ بقوله تعالى: ((الصوم لي وأنا أجزي به))^(٢) .

والصيام في حقيقته صلة وثيقة بالله ﷻ، وقربة حميدة لنيل رحمته وعفوه، وهو إثارة لمحبتته ومرضاته سبحانه وتعالى على حساب شهوات النفس ومحابها، فالصائم الذي يستحضر في صيامه معنى التعبد والقربة هو الصائم الذي يطيب صيامه، ويتنعم ، ويسعد ويتلذذ ، وينشرح ويغتم . فالصيام ظاهره التعب والجوع ، والألم والمشقة ، لكنه . في الحقيقة . جنة إيمانية مزهرة ، وروضة يانعة مخصبة ، يجني الصائمون منها لذائذ الإيمان ومناثر الخشوع وثمار التقوى^(٣) .

وللحكم العظيمة الكثيرة التي شرع الصيام لأجلها، استوجب أن يكون فريضة من فرائض الإسلام، وركنا من أركانه، فكم فيه من المنافع النفسية، والبدنية، وكم له من الآثار المباركة الجنية.

(١) الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، ص: ١٨ - ١٩ .

(٢) التبصرة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م: ٢٤٦/٢، والحديث رواه البخاري، كتاب الصيام، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: ١٩٠٤، ٢٦/٣ .

(٣) ينظر: طلائع السلوان في مواعظ رمضان، حمزة بن فابع بن إبراهيم الفتحي، تقرير: محمد بن حسن الشنقيطي، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ص: ٧٠ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العمرو الثالث والعمرو) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٠ ﴾

عبوديته لله، وخالص محبته، وعظيم طمعه ورجائه فيما وعد الله به أهل طاعته، من الرحمة والرضوان والمغفرة والإحسان والأجر العظيم والنعيم المقيم في الجنان. وفي الصيام تضبط النفس، ويسهل السيطرة عليها، والتحكم فيها، والأخذ بزمامها إلى ما فيه الخير والسعادة، والفلاح في العاجل والآجل، حيث يُصبر المرء نفسه على فعل الطاعات، وترك الشهوات^(١).

وكذلك يتحصل من الصيام اللذة فيه من الشعور بالنسبة والالتذاد بالخدمة ... ولذلك كان يبس الشفاة من العطش، وقرقرة البطون من الجوع: أهنأ ما لاقاه الصائمون وأمرأ ما ظفر به أولئك الجياع العطشى.

فبينما هو يتألم - وقد تلوى من جوع البطن - يتوارد على فؤاده خاطرة: أن هذا الألم يصبر عليه تعظيماً لحق الله ومهابة لنظره واطلاعه فيرضى عن حاله ويشبع من رضا الله عنه ولا يطمع في أي نعمة تحول بينه وبين لذة هذا الألم.

لكنه سرعان ما يطأطئ منكسراً وجلاً، خائفاً لئلا يقبل الله منه فيتظافر ألم البطون مع ألم القلوب ويتعاضم هذا الألم حتى تتداركه عناية الله وإمداداته فيفيض عليه من جميل لطفه وإنعامه فيسكن هذان الألمان المتضافران وينقلبان حلاوة غامرة ولذة عامرة بل وشوقاً للقاء الله حتى تتم فرحته التي أخبر عنه النبي (ﷺ) ((وفرحة عند لقاء ربه))^(٢).

فالصيام هو الذي به تدرك هذه الثمرات وغيرها كثير خافيات، ومن هذه الثمرات منزلة الإجابة والأوبة إلى الله تعالى، فالصيام مع الإجابة على العكس من بقية الأركان، فان تلك الأركان من خلالها يرجع فيها العبد وينيب إلى خالقه ومولاه، أما الصيام فانه الذي يحقق تلك

(١) ينظر: تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام، عبد الله بن صالح القصير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ: ص: ٩.

(٢) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان: ص: ٦٠، والحديث رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم: ١١٥١، ٨٠٦/٢.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠١ ﴾

الإجابة، فإذا كان العبد يحتاج إلى الإجابة ليؤدي تلك العبادات فإن الصيام هو مصدر رجوع العبد إلى بارئه، ومنجم جواهر إجابته إلى خالقه .

٢- كيف يحقق الصيام ثمرات عبادة السائرين ويرتقي بهم بمنازل السالكين .

إن معرفة كيفية تحقيق الصيام لما تقدم من منافع عظام - متوقف على معرفة الغاية من الصيام، والغاية منه كما قال اهل العلم: "خواء البطن وشرايين الشهوات من مادة الثوران، وخواء البطن مجلبة لامتلاء القلب بصنوف المعارف، وكلما ازداد الجوعُ وألمهُ رُقَّ الفؤاد ولان وخشع"^(١).

والجوع أثناء الصيام من أعظم القرب التي يتحقق فيها كسر جموح النفس، والحد من كبرياتها الطاغية؛ حتى تخضع للحق، وتتواضع للخلق، ما لا نظير له؛ فإن الشبع والري ومباشرة النساء، يحمل غالب الناس على العلو، والأشر، وبطر الحق، وغمط الناس في كثير من الأحوال.

وفي الجوع والظمأ وهجر الشهوات - وجه العبودية لله - ما يكسر من حدتها، ويكبح من جماحها، ويكون عوناً للمرء عليها ويجعلها تستعد لطلب وتحصيل ما فيه غاية سعادتها، وقبول ما تزكو به في حياتها الأبدية^(٢) .

ومن اجل هذه الحكم المنيفة والفوائد الغزار في فضل الجوع أثناء الصيام فقد "قاسى النبي (ﷺ) مع أصحابه الكرام الجوع وألمه القاسي الشديد، فلقد صاموا الفرض والنفل وجاعوا وهذبوا أنفسهم لتذلل إلى بارئها وتتهذب لخالقها وتتيب إلى مولاه"^(٣) .

فليس الجوع وحده هو الذي يحقق الإجابة إنما الذي يكسي العبد حلة الإجابة هو جوع الصيام وظمأه لأنه الم قاساه وضعف اعتراه في عبادة راقب فيها مولاه "وكلما كان الإنسان أضعف نفساً وأرق قلباً كان أقرب إلى الإجابة والإخبارات إلى الله ﷻ"^(٤) .

(١) القواعد الحسان: ص: ١٣٢ .

(٢) ينظر: تذكرة الصوام: ص: ١٠ .

(٣) رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، محمّد رجب السامرائي، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية، ٢٠٠٢م: ص: ١٩ .

(٤) ينظر: نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني قدم له : أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري - جدة: ٦٤ / ٣ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٢ ﴾

ولقد أدرك السلف هذه الحكمة من الجوع أثناء الصيام وأهميته في الهاء النفس عن التفكير بالإرادات السيئة والنوايا الفاسدة بانشغالها بالتفكير بألم الجوع والعطش فقال احدهم: "لأن يطلع الله على نفسي وهي تنازعني إلى الطعام والشراب أحب إلي من أن يطلع عليها وهي تنازعني إلى معصيته إذا شبعت"^(١).

فمن حكم الصيام وفوائد الجوع فيه أنه يضيق مجاري الدم بسبب الجوع، والعطش فتضيق مجارى الشيطان من البدن؛ وذلك لان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، كما صح بذلك الخبر عن رسول الله (ﷺ)، فتخس بالصيام وساوس الشيطان ، وتتكسر حدة الشهوة والغضب ، ولذلك قال النبي (ﷺ): ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))^(٢) ، فجعل الصوم بمثابة الوجاء الذي يكسر سورة الشهوة ويذهب حذتها^(٣).

وكذلك فان خواء المعدة من الأغذية يضعف قوى الجسد النفسانية وتقوى منه الروحانية، فيشرق في القلب نور الايمان، ويلوح في الروح ضياء القدس، وتخشع الجوارح لفعل القربات، وتلين الجلود لإتيانها بالطاعات؛ فتقبل على خدمة الله تعالى بقلب منيب، وتعرض عن عصيانه ومخالفته^(٤).

(١) نداء الريان: ٦٢/١ .

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: ٥٠٦٥ ، ٣ / ٧ .

(٣) ينظر: مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٨ هـ: ص: ٨١ .

(٤) ينظر: نداء الريان: ٦٢ / ١ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٣ ﴾

ثانياً: الإقبال على الله تعالى في إتمام الصيام على وجهه، والخوف من النقص فيه .

تكلم أهل العلم عن أحكام الصيام، واستقصوا أدلته وما تضمنته من شروط الصيام المعتمدة، وأركانها الرصينة، وآدابه القويمة، ومبطلاته ومباحاته، وغير ذلك من أمور لا يتحقق الصيام على وجهه الكامل، ولا ترجى نيل الثمرات منه إلا بتحقيقها والوقوف على مراميها وامتنال أمر الشارع فيها.

لكن أهم تلك الأمور والمبادئ التي تتناسب هذا المطلب ثلاثة أمور: هي أركان الصيام، ومبطلاته، وأهم آدابه .

الأول- أركان الصيام:

بينت الأدلة الشرعية أن للصيام ركنان:

الركن الأول: الإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. الركن الثاني: نية الصيام. ولا بد أن تكون النية قبل الفجر، من كل ليلة من ليالي شهر رمضان. لقوله (ﷺ): ((من لم يجمع الصيام قبل الفجر، فلا صيام له))^(١). أي يحكم نيته ويعزم على الصيام . وتصح النية في أي جزء من أجزاء الليل، والنية محلها القلب، لا دخل للسان فيه، فمن تسحر بالليل، قاصدا الصيام، تقربا إلى الله بهذا الإمساك، فقد نوى، ومن عزم على الكف عن المفطرات، أثناء النهار، مخلصا لله، فهو قد نوى، وإن لم يكن قد يتسحر.

لكن هل تشترط النية قبل الفجر لصيام التطوع؟ الجواب: قال كثير من الفقهاء: إن نية صيام التطوع تجزئ من النهار إن لم يكن قد طعم. وهي تجزئ قبل الزوال وبعده على السواء لما في الحديث عن عائشة أم المؤمنين قالت جاء رسول الله (ﷺ) يوما فقال: ((هل عندكم من طعام قلت لا قال إذا أصوم قالت ودخل علي مرة أخرى فقلت يا رسول الله قد أهدى لنا حيس فقال إذا أفطر اليوم وقد فرضت الصوم))^(٢) .

(١) رواه أبو داود، كتاب الصيام، باب النية في الصيام، رقم: ٢٤٥٤ ، ١ / ٧٤٤ .

(٢) ينظر: أحكام الصيام والقيام وزكاة الفطر، لأبي ذر القلموني، عبد المنعم بن حسين بن حنفي بن حسن بن الشاهد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: (ص: ١٤-١٥)، والحديث رواه النسائي، كتاب الصيام، النية في الصيام، رقم: ٢٣٢٩ ، ٤ / ٥٠٩ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٤ ﴾

الثاني- مبطلات الصيام:

وما يبطل الصيام ينقسم الى قسمين: قسم مجمع على ابطاله للصيام، وقسم مختلف فيه .

القسم الاول: وهو ما وقع الاجماع في ابطاله للصوم .

١- ٢ - الأكل والشرب عمدا.

أجمع أهل العلم أن الصائم إن تعمد الأكل أو الشرب فعليه القضاء^(١) .

٣ - ٤ - الحيض، والنفاس، ولو في اللحظة الأخيرة، قبل غروب الشمس . اتفق اهل العلم

على أن الحائض والنفاس لا تصليان ولا تصومان أيام الحيض والنفاس^(٢) .

٥- القيء عمدا. "وأجمعوا على إبطال صوم من استقاء عمدا"^(٣).

٦- الجماع في نهار رمضان ذاكرا غير مكره، واجمع اهل العلم على بطلان صومه، وعليه

القضاء، والكفارة^(٤) .

القسم الثاني: مختلف في ابطاله للصيام .

١- الاستمناء - وهو تعمد إخراج المنى بأي سبب من الأسباب -: سواء، أكان سببه تقبيل

الرجل لزوجته أو ضمها إليه، أو كان باليد . فمن استمنى بطل صومه "عند المالكية، والشافعية،

والحنابلة، وعامة الحنفية على ذلك؛ لأن الإيلاج من غير إنزال مفطر، فالإنزال بشهوة أولى.

وقال أبو بكر بن الإسكاف، وأبو القاسم من الحنفية: لا يبطل به الصوم، لعدم الجماع صورة

ومعنى^(٥) .

٢- تناول ما لا يتغذى به من المنفذ المعتاد، إلى الجوف: مثل تعاطي الملح الكثير والكحل

والحقنة الشرجية، وما يقطر في إحليله، ومداواة الأمومة والجائفة، ، فهذا مما تتنازع فيه أهل

(١) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة - الرياض - السعودية، ط ١ - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م : ٢٤٨/٣ .

(٢) مراتب الإجماع، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الكتب العلمية - بيروت: ص: ٢٣ و ٤٠ .

(٣) الإجماع، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م: ص: ٤٩ .

(٤) مراتب الإجماع: ص: ٣٩ .

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، دار السلاسل - الكويت، ط ٢، مطابع دار الصفوة - مصر، ط ١، طبع الوزارة، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ: ١٠٠/٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العدد الثالث والعشرون) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٥ ﴾

العلم، فمنهم من لم يفطر بشيء من ذلك، ومنهم من فطر بالجميع لا بالكحل، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير، ومنهم من لم يفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك^(١)

٨ - إذا أكل، أو شرب، أو جامع - ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر، فظهر خلاف ذلك - فعليه القضاء، عند جمهور العلماء، وذهب إسحاق، وداود، وابن حزم، وعطاء، وعروة، والحسن البصري، ومجاهد: إلى أن صومه صحيح، ولا قضاء عليه^(٢).

الثالث: أهم آداب الصيام .

للصيام حكم منيفة وغايات شريفة، لو استقصاها المرء لجمع بذلك مؤلفا، ولما كان ما لا يدرك كله لا يترك جله كان لابد من الإشارة الى بعضها تنويرا وتنبيها فمن هذه الحكم:

١- ان يكون يصوم المسلم رمضان إيمانا واحتسابا، لا رياء ولا سمعة ولا مجاملة لأحد، ولا موافقة لأهله، أو متابعة لمجتمعه.

فإن الصائم لا ينال ثواب الصيام؛ ولا تجتمع له فوائده إلا إذا كان الحامل له إيمانه، بأن الله تعالى فرضه عليه رحمة منه به وإحسانا إليه، واحتساب الأجر على صيامه عند ربه، الذي وعد به الصائمين^(٣).

٢- ان من حكم الصيام: كونه عبادة لله تعالى وقربة يتقرب بها العبد بترك محبوباته ومشتبهاته من طعام وشراب ونكاح، فيظهر بذلك صدق الايمان وكمال العبودية لله تعالى وقوة المحبة له ورجاء ما عنده، ولما علم المؤمن أن رضا الله في الصيام بترك شهواته المجبول على محبتها قدم رضا مولاه على هواه فتركها أشد ما يكون شوقا إليها؛ لأن لذته وراحة نفسه في ترك ذلك لله عز وجل، ولذلك كان كثير من المؤمنين لو ضرب أو حبس على أن يفطر يوما من رمضان بدون عذر لم يفطر، وهذه الحكمة من أبلغ حكم الصيام وأعظمها^(٤).

(١) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: ٢٣٣/٢٥.

(٢) فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م: ١ / ٤٦٦ .

(٣) ينظر: تذكرة الصوم: ص: ٩ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٦ ﴾

٣- ومنها: أن الصوم يجعل القلب متفرغاً للفكر والذكر، لأن الاكثار من الشهوات يستوجب الغفلة، وربما تقسي القلب وتعمي عن رؤية الحق، ولذلك أرشد النبي (ﷺ) إلى التخفيف من الطعام، والشراب^(١).

٤- ومنها: ان الصيام "من أعظم أسباب تطهير النفوس من أدرانها، وتزكيتها بتهذيب أخلاقها، وتقيتها من عيوبها، مع ما فيه من إصلاح القلوب وترقيتها"^(٢).

٥- ومنها: انه "يذكر العبد بعظيم نعم الله عليه وجزيل إحسانه إليه؛ فإنه إذا جاع وعطش وهجر شهوته ذكر الأكباد الجائعة والأنفس المحرومة، فكان ذلك من دواعي حمده لربه على نعمته وشكره له على جوده وكرمه، وكان ذلك من أسباب رقة قلبه مما يجعله يعطف على المساكين ويغيث الملهوفين فيواسيهم ويوجد عليهم. وذلك من أسباب حفظ النعم وزيادتها، واندفاع النقم والسلامة من آفاتها"^(٣).

٦- ومنها: أن الصوم "يعطي راحة تامة للأعضاء الحيوية الهامة، ويوقف امتصاص الأغذية التي تتحلل داخل الأمعاء، ويفرغ القناة الهضمية، ويخلصها من الجراثيم والتخمرات، ويعطي لأجهزة الإفراغ الفرصة كي تستعيد نشاطها، ويصلح ويجدد الكيمياء الفيزيولوجية والإفرازات الطبيعية، ويسهل امتصاص الترسبات والتراكمات والبوارز الشاذة، ويحسن الوظائف العامة في الجسم، ويعيد الشباب للخلايا والأنسجة، ويجدد العضوية بإزالة الأنسجة الميتة والضعيفة، وإحلال أنسجة جديدة شابة وفتية بدلاً منها. ثم يفرد فصلين في كتابه يتحدث فيهما عن علاج الأمراض الحادة والمزمنة بالصوم"^(١).

٧- ومنها: "التمرن على ضبط النفس، والسيطرة عليها، والقوة على الإمساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم فيها ويقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي،

(١) مجالس شهر رمضان: ص: ٤٨ .

(٢) تذكرة الصوم ص: ١١ .

(٣) المصدر نفسه: ص: ٤٩ .

(٤) ينظر: مجالس شهر رمضان: ص: ٤٨ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٧ ﴾

فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها وسيطر عليها تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب^(٢).

المطلب الخامس: الإجابة في الحج .

أولاً: الإسراع إلى تلبية نداء الباري سبحانه إلى فريضة الحج متى استطاع إلى ذلك سبيلاً .

لم تذكر لفظة الإجابة في أي موطن من الآيات التي نزلت في القرآن فيما له تعلق بالحج: إلا أن في القرآن الكريم من الآيات ما أشارت إلى معنى الإقبال والإجابة، وكذلك هو الحال فيما يخص السنة النبوية التي جاءت بألفاظ مفسرة للآيات، ومبينة لمعانيها، والآية الكريمة التي بين الله تعالى فيها ما أراده سبحانه من الناس من تلبية أمره لهم في أداء فريضة الحج الأكبر. هي **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**^(١).

لذا سيتم الوقوف على استخراج معنى الإجابة في الحج من خلال الألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة بما له علاقة بركن الحج، وقرب معاني تلك الألفاظ من معنى الإجابة والإقبال على الله تعالى، ليتحقق للمسلم موطن الإجابة في حجه أو عمرته .
اللفظة الأولى:

أما اللفظ الذي ذكر في هذه الآية وغيرها، وله علاقة بموضوع الإجابة فهو قوله **تَعَالَى: ﴿يَأْتُوكَ بِالْحَجِّ﴾** ولفظ الحج إذا أرجعناه إلى معناه اللغوي يتبين المراد منه .

(٢) مجالس شهر رمضان: ص: ٤٩ .

(١) سورة الحج: آية ٢٧ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٨ ﴾

فالحج في اللغة: "القصْد. ورجل محجوج، أي مقصود. وقد حج بنو فلان فلانا، إذا أطالوا الاختلاف إليه ... هذا الأصل، ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك"^(١) ، والحج: (القدوم)^(٢) ، يقال: "وَحَجَّ عَلَيْنَا فُلَانٌ أَي قَدِمَ"^(٣) .

إذن فمن معاني لفظة (الحج) الأصلية: القصد والقدوم، وهذان المعنيان يقتربان جدا من بعضهما، فان القصد وحده لا يسمى حجا حتى يقترن معه القدوم؛ لذا يمكن القول بان كل حاج قاصد وليس كل قاصد حاج؛ فربما تقصد في نفسك أمرا ولا تقدم على فعله، أما الحج فلا يسمى الإنسان حاجا إلى مكان حتى يأتيه ويقدم عليه .

وقد تقدم في التعريف اللغوي للإجابة أن من اخص معانيها الإقبال، والإقبال والقدوم من الألفاظ المشتركة الاستخدام في مواطن واسعة في اللغة، ومثاله الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في قصة قتل اليهود لعبد الله بن سهل وفيه: (ثم أقبل حتى قدم على قومه)^(٤) .

فتبين من خلال ما سبق تقريره في المعنى اللغوي للحج انه يمكن أن يقال: فيمن حرص على أداء الحج على وجهه، -وشغف به حتى ما يصبر على فراق البيت العتيق؛ فتكرر منه القدوم على مكة المشرفة مرارا وتكرارا- انه من المنيبين، أما من اكتفى بحجة أو اثنتين، أو عمرة أو عمرتين، وشغل عن الحج بأشغال الدنيا ولم تحدثه نفسه بالعود والرجوع، فهو حاج وليس بمنيب؛ فالمنيب في الحج هو من كثر حجه، واستكثر قدومه على بيت ربه سبحانه .

ولتحقيق إنابة العبد لربه سبحانه في الحج أمر الله ﷻ به وجعله الركن الخامس من أركان الإسلام وحذر من التقاعس عنه والتخاذل عن أداءه كما قال تعالى:

(١) الصحاح تاج اللغة: ٣٠٣/١ .

(٢) تاج العروس: ٤٥٩/٥ .

(٣) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٩/٣ .

(٤) رواه البخاري: كتاب الاحكام، باب كتاب الحاكم إلى عماله والقاضي إلى أمنائه، رقم: ٧١٩٢، ٧٥/٩، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربيين والقصاص والديا، باب القسامة، رقم: ١٦٦٩، ١٢٩٤/٣ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٠٩ ﴾

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

فاخبر تعالى "عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿ مُبَارَكًا ﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية... ﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فيما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما من به على أوليائه وأنبيائه" (٢) .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ .

فإنه ﷻ "قد خصص أمكنة لتعظيمه كالكعبة وعرفات والمزدلفة ومنى والصفاء والمروة ومقام إبراهيم والمسجد الحرام كله ومكة كلها والحرم كله، وألهم الناس شوقا لزيارتها والحنان إليهما فيتوجهون إلى هذه الأمكنة رجالا وركبانا ويأتون إليهما من كل واد عميق ومرمى سحيق ويتجشمون في سبيلها مشاق السفر وعناء التنقل يصلون إليها غبرا شعنا متبذلين في الثياب

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦، ٩٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ص: ١٣٨ .

(٣) سورة البقرة: آية ١٥٨ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٠ ﴾

زاهدين في الشارات والمظاهر فيذبحون هنالك الأنعام لله تعالى ويوفون نذورهم ويطوفون بالبيت ويقضون تقثهم من تعظيم الله تعالى الذي غمر نفوسهم وقلوبهم ويرضون هنالك عاطفة الحب والحنان التي ملكتهم، ويذهبون في ذلك مذاهب شتى ويتفننون فيه فمنهم من يستلم عتبة البيت ويقبلها ومنهم من يقف داعيا أمام الباب ومنهم يتضرع متشبثا بكسوة الكعبة ومنهم من يعتكف عنده فيصل بياض النهار بسواد الليل عاكفا على عبادة الله منصرفا إلى ذكره فمنهم من شخص بصره إلى البيت فهو يتمتع بجماله إلى غير ذلك من مظاهر التعظيم وشعائر الحب والتفاني والله يرتضيها ويثيبهم عليها في الدين والدنيا" (١) .

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرُوبَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ

ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

فاخبر ﷺ "أنه جعل { الْكَعْبَةَ الْغُرُوبَةَ الْغُرُوبَةَ قِيَامًا لِلنَّاسِ } يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم وديانهم، فبذلك يتم إسلامهم، وبه تحط أوزارهم، وتحصل لهم - بقصده - العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتتقحم - من أجله - الأهوال، ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتتعدد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية.

ومن أجل كون البيت قياما للناس قال من قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة. فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة" (٣) .

(١) رسالة التوحيد: الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ: (ص: ١٠٠ - ١٠١) .

(٢) سورة المائدة: آية ٩٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن: ص: ٢٤٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العرف الثالث والعشرون) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١١ ﴾

اللفظ الثاني:

أما اللفظ الثاني من الألفاظ الواردة في ركن الحج، وله علاقة بالإجابة ومرتبطة بها فهو لفظ (التلبية) فقد جاء في الآثار التي رواها الطبري وغيره عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢﴾.

فمنها ما رواه عن ابن عباس، قال: (لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: (أذن في الناس بالحج) قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبنون) (١).

وعنه، قال: (لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك) (٢).

وعنه قال: (قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك) (٣).

وقال مجاهد: (قام إبراهيم على مقامه، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ) (٤).

وعن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: (لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض:

(٢) سورة الحج: آية ٢٧ .

(١) جامع البيان: ١٨ / ٦٠٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨ / ٦٠٦ .

(٣) المصدر نفسه: ١٨ / ٦٠٦ .

(٤) المصدر نفسه: ١٨ / ٦٠٦ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٢ ﴾

إن ريكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: فأرجو من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام^(١)

وإتباعا لملة إبراهيم الذي كان نبينا (ﷺ) يحرص على متابعتها فقد أمره ربه سبحانه أن تكون هذه التلبية التي سنّها إبراهيم (ﷺ) فعن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ): ((جاني جبريل فقال يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية . فإنها من شعار الحج))^(٢) .
ولبيان الاقتران بين التلبية، والإجابة لابد من الرجوع إلى المعنى اللغوي للفظة التلبية كما سبق بيانه في لفظة الحج .

فالتلبية في اللغة: "الإجابة، تقول: لَبَّيْكَ، معناه: قريبا منك وطاعة، لأنّ الإلباب القرب، أدخلوا الياء كيلا يتغيّر المعنى، لأنه لو قال: لَبَّيْتُكَ صار من اللَّبَّب، واشتبه.. يقولون من التَّلْبِيَةِ: لَبَّيْتُ بِالْمَكَانِ، وَلَبَّيْتُ مَعْنَاهُ: أَقَمْتُ بِهِ، وَاللَّبَّيْتُ أَيْضاً"^(٣)، "والأجود في اشتقاقها: أن جماع هذه المادة: هو العطف على الشيء والإقبال إليه والتوجه نحوه، فالداعي إلى الشيء يطلب استجابة المدعو وانقياده، وإقباله إليه، وتوجهه نحوه، فيقول: لبيك: أي قد أقبلت إليك وتوجهت نحوك، وانقدت لك، فأما مجرد الإقامة فليست ملحوظة"^(٤) .

فاشتركت الإجابة مع التلبية في أن من معاني هاتين اللفظتين الإقبال وسرعة الإجابة، فالملبي لنداء ربه (ﷻ) هو المنيب إليه المقبل على طاعته بقصد قلبه وتوجهه بنفسه وماله نحو الديار المقدسة طامعا فيما عند الله (ﷻ) من مغفرة الذنوب ورفع الدرجات .

(١) جامع البيان: ٦٠٧ / ١٨ .

(٢) رواه ابن ماجه: كتاب المناسك، باب رفع الصوت بالتلبية، رقم: ٢٩٢٣، ٩٧٥/٢ .

(٣) كتاب العين: ١٦١ / ٤ .

(٤) شرح عمدة الفقه من كتاب الطهارة والحج، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤١٣: ٥٨٢/٢-٥٨٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٣ ﴾

ولما للتلبية من أهمية كبرى في الحج فقد وردت آثارا متنوعة الألفاظ لتأدية معنى الترغيب إليها وبالتالي تحقيق كون العبد منيبا إلى خالقه مجيبا لندائه من خلال هذه التلبية لفظا وحقيقة، ومن هذه الآثار:

١ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما من مسلم يلبي إلا لبي من عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا و هاهنا))^(١) .

٢ - عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أن النبي ﷺ سئل أي الحج أفضل ؟ قال : ((العج والثج))^(٢) .

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : ((أي واد هذا ؟ فقالوا هذا وادي الأزرق قال كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشي فقال أي ثنية هذا ؟ قالوا ثنية هرشي قال كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقه حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي))^(٣) .

ثانيا: تحقيق الإجابة بالحرص على أداء فريضة الحج بتطهير العبد نفسه من الرفت والفسوق .

من الوسائل الدعوية العظيمة التي جاءت في شرعنا الحنيف هي وسيلة ترغيب النفوس في العبادات من خلال بيان فضائلها وما يترتب عليها من ثواب عظيم واجر جليل، وهو بدوره يعزز جانب الإجابة والإقبال على الله ﷻ في العبادات .

والحج كسائر هذه العبادات وردت في بيان فضله أدلة من الكتاب والسنة، وقد تقدم بعض من الآيات الكريمة في هذا المقام، لذا سيتم الاختصار على الآثار النبوية التي رغبت النفوس وشحذت الهمم إلى تأدية هذا الركن العظيم؛ وسيكون إيراد هذه الآثار على وجهين:

الوجه الأول: الآثار التي بينت فضل الحج المبرور وعظيم ثوابه .

(١) رواه الترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، رقم: ٨٢٨ ، ١٨٩/٣ .

(٢) كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، رقم: ٨٢٨ ، ١٨٩/٣ . وابن ماجه، كتاب الحج، باب ما يوجب الحج، رقم: ٢٩٢٤ ، ٢ / ٩٧٥ . (العج) رفع الصوت بالتلبية . (الثج) سيلان دماء الهدي والأضاحي .

(٣) رواه مسلم: كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: ١٦٦ ، ١ /

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (عمرو الثالث والعمرو) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٤ ﴾

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ ((قال: إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور))^(١) .

٢- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: ((لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور))^(٢) .

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))^(٣) .

٤- عن ابن شماسه المهري قال : حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ إني قد كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبأبعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشتري قال: تشتري بماذا؟ قلت: أن يغفر لي قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله)^(٤) .

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم: ٢٦، ١٣٣/٢، ومسلم، كتاب الايمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقمك ٨٣، ٨٨/١ .

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم: ١٥٢٠، ١٣٣/٢ .

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم: ١٧٧٣، ٢/٣، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، رقم: ١٣٤٩، ٩٨٣/٢ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، رقم: ١٢١، ١١٢/١ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٥ ﴾

- ٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله . دعاهم فأجابوه . وسألوه فأعطاهم))^(١) .
- ٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة))^(٢) .
- ٧- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة))^(٣) .
- ٨- عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال : ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟))^(٤) .
- ٩- عن ماعز رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال: ((إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برة تفضل سائر العمل كما بين مطلع الشمس إلى مغربها))^(٥) .
- فبينت الأحاديث المتقدمة فضل من بر في حجه وحكمت له بدخول الجنة فلا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخلها أي مع السابقين أو بغير عذاب وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يحج"^(٦) .
- الوجه الثاني: الآثار التي بينت ماهية الحج المبرور الذي يفوز به صاحبه بما تقدم من الفضائل التي بينتها الأحاديث السالفة، والظفر بالمغفرة والدرجات العلى من الجنة .

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الحج، باب فضل دعاء الحاج، رقم: ٢٨٩٣، ٢/ ٩٦٦ .

(٢) رواه النسائي، كتاب الحج، فضل الحج، رقم: ٢٦٢٦، ٥/ ١٢٠ .

(٣) رواه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم: ٨١٠، ٣/ ١٦٦ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، رقم: ١٣٤٨، ٢/ ٩٨٢ .

(٥) رواه أحمد، رقم: ١٩٠١٠، ٣١/ ٣٥٠ .

(٦) : فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦: ٤٠٦/٣ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٦ ﴾

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))^(١).

٢- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"، قالوا: يا نبي الله ما بر الحج المبرور؟ قال: "إطعام الطعام، وإفشاء السلام))^(٢).

فجعل هذا القصد من العبد "مكفراً لما سلف من الذنوب، ماحياً للأوزار، حاطاً للخطايا... ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة"^(٣).

فينبغي لمن أراد حسن الإجابة، وصدق الإقبال على الله ﷻ "أن يفهم معنى الحج، فإنه يشار به إلى التجرد لله عز وجل ومفارقة المحبوبات.

وليتذكر بأهوال الطريق الأهوال بعد الموت وفي القيامة، وبالإحرام الكفن، وبالتلبية إجابة الداعي، وليحضر قلبه لتعظيم البيت، وليتذكر بالالتجاء إليه التجاء المذنب، وبالطواف الطواف حول دار السيد ليرضى، وبالسعي بين الصفا والمروة التردد إلى فناء الدار، ويرمي الجمار رمي العدو.

وكما أن للأبدان حجا فللقلوب حج؛ فإنها تنهض بأقدام العزائم وتمتطي غوارب الشوق، وتفارق كل محبوب للنفس، وتصابر في الطريق شدة الجهد، وترد مناهل الوفاء لا غدران الغدر، فإذا وصلت إلى ميقات الوصل نزع مخيط الآمال الدنيوية، واغتسلت من عين العين، ونزلت بعرفات العرفان، ولبت إذ لبت من لباب اللب، ثم طافت حول الإجلال، وسعت بين صفا الصفا ومروة المروة، فرمت جمار الهوى بأحجار، فوصلت إلى قرب الحبيب فلو ترنمت بشرح حالها لقال:

لا والذي قصد الحجاج لبيته * * * * من بين ناء طارق وقريب

والحجر والحجر المقبل تلتقي * * * فيه الشفاه وركنه المحجوب

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم: ١٥٢١، ١٣٣/٢.

(٢) رواه أحمد، رقم: ١٤٤٨٢، ٢٢ / ٣٦٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٩، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م: ٤٨/١.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٧ ﴾

لا كان موضعك الذي ملكته **** من قلب عبدك بعد ذا لحبيب

لي أنة الشاكي إذا بعد المدى **** ما بيننا وتنفس المكروب

...وينبغي لمن عاد من الحج أن يقوى رجاؤه للقبول ومحو ما سلف، وليحذر من تجديد زلل.

وقد سئل الحسن البصري: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهدا: في الدنيا راغبا في الآخرة^(١).

(١) التبصرة: ٢/٢٦٢-٢٦٣ .

الخاتمة

وفي نهاية البحث الذي يسر الله تعالى إكماله كان لابد من الإشارة إلى أهم ما ورد فيه من نتائج، وملاحظات احتواها وتمخض عنها، والتي يمكن صياغتها على النحو الآتي:

١- إن جميع ما قرره أهل اللغة في بيان معنى الإنابة لا يتعدى كونها بمعنى الرجوع، ولزوم الشيء، والإقبال عليه، ولا تخرج في عرف أهل الاصطلاح عن أصلها اللغوي .

٢- بين البحث انه لابد للعبد إذا أراد الوصول إلى درجة الإنابة لربه في صلاته من تحقيق أمرين: الأول: أن ينصرف العبد بقلبه، وعقله، وجوارحه في صلاته إلى بارئه، والثاني: الحرص على أن لا يلتفت في صلاته، والالتفات يكون بالقلب والبدن، والالتفات القلبي هو أصل الالتفات البدني، فان من أناب قلبه أنابت جوارحه .

٣- أكد البحث إن المسارعة في إخراج الزكاة، عند توفر شروطها المعتبرة شرعا - وعدم التسويف، وإيجاد مبررات المماطلة في أدائها- هو في حقيقته يعبر عن صدق الإنابة، وجدية الإقبال من العبد إلى ربه؛ مع طيب النفس وانسراح الصدر بهذا الإخراج، وان لا تبقى النفس متشوفة لذلك المال المخرج .

٤- اثبت البحث أن الصيام مع الإنابة على العكس من بقية الأركان، فان تلك الأركان من خلالها يرجع فيها العبد وينيب إلى خالقه ومولاه، أما الصيام فانه الذي يحقق تلك الإنابة؛ فإذا كان العبد يحتاج إلى الإنابة ليؤدي تلك العبادات فان الصيام هو مصدر رجوع العبد إلى بارئه ومنجم جواهر إنابته إلى خالقه .

٥- بين البحث أن من حرص على أداء الحج على وجهه، -وشغف به حتى ما يصبر على فراق البيت العتيق؛ فتكرر منه القدوم على مكة المشرفة مرارا وتكرارا-

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١١٩ ﴾

انه من المنيبين، أما من اكتفى بحجة أو اثنتين، أو عمرة أو عمرتين، وشغل عن الحج بأشغال الدنيا ولم تحدثه نفسه بالعود والرجوع، فهو حاج وليس بمنيب؛ فالمنيب في الحج هو من كثر حجه، واستكثر قدومه على بيت ربه سبحانه .

ثبت المصادر

١. الإجماع، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت .
٣. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة - الرياض - السعودية، ط١ - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م .
٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٥. بحر الدموع، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٦. التبصرة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ .
٨. تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام، عبد الله بن صالح القصير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ .
٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، ١٤٠٥ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢١ ﴾

١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١١. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت - ط١، ٢٠٠١م
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ .
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
١٦. رسالة التوحيد الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ .
١٧. رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، محمد رجب السامرائي، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية، ٢٠٠٢م .
١٨. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٤ .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢٢ ﴾

١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٩، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٢٠. الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، الدكتور عبد الله الطيار، تقديم د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الزلفي، ١٤٠٥هـ.
٢١. الزهد عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر - بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٣. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
٢٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون .
٢٥. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة ببيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ .
٢٦. شرح عمدة الفقه من كتاب الطهارة والحج، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤١٣هـ .
٢٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٢٨. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، راجعه الأستاذ

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢٣ ﴾

- العلامة عبد الحميد محمد المهدي، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م .
٢٩. طلائع السلوان في مواعظ رمضان، حمزة بن فايع بن إبراهيم الفتحى، تقرّظ محمد بن حسن الشنقيطي، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
٣٠. العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
٣١. فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام، ط٢، ١٤٢٢ هـ .
٣٢. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
٣٣. قدم له أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري - جدة .
٣٤. القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان، المعتز بالله أبو محمد رضا أحمد صمدي، تقديم أبو إسحق الحويني، ومحمد حسين يعقوب، مكتبة الفهد بجدة - السعودية، ط٣، ١٤٢٠ هـ .
٣٥. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م .
٣٦. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢٤ ﴾

٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط١.
٣٨. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣.
٣٩. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام لعبد الرزاق الكاشاني، تحقيق سعيد عبد الفتاح مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٩٦ هـ.
٤٠. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
٤١. مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٨ هـ.
٤٢. المجموع شرح المذهب، محيي الدين بن شرف الدين النووي دمشقي، دار عالم الكتاب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٤٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفيو تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٤. مراتب الإجماع، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٥. المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
٤٦. المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) (العروة الوثقى والعروة) (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢٥ ﴾

٤٧. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩.

٤٨. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط ١، ١٤١٢ هـ.

٤٩. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٥٠. مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٥١. مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، خُطْبُ وَحِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدُ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حِسَانٌ، عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّلْمَانِ المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض .

٥٢. منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

٥٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، دار السلاسل - الكويت، ط ٢، مطابع دار الصفوة - مصر، ط ١، طبع الوزارة، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ .

٥٤. موارد الظمان لدروس الزمان، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية .

٥٥. نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، سيد بن حسين بن عبد الله العفاني.

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) العروة الوثقى والعروة (١٤٣٥ هـ) الدكتور سامي عويد أحمد

﴿ ١٢٦ ﴾

٥٦. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين
بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع،
جدة، ط ٤ .

الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة